## مارك كرسبن ملر

**يعمل مارك كرسبن ملر أستاذاً في الدراسات الإعلامية في جامعة نيويورك، حيث يرأس مشروع ملكية وسائل الإعلام ويشتهر بكتاباته حول مختلف موضوعات الإعلام، وبنشاطه في الإصلاح الإعلامي الديمقراطي. وله عدد من الكتب أبرزها: الانحباس داخل الصندوق: ثقافة التلفاز (مطبوعات جامعة نورث ويسترن، 1988)، وكتاب: الرؤية من خلال الأفلام (ياثيون، 1990) وكتاب: لعثمة بوش (نورتون، 2001)، وكتاب: وحشي وغريب: نظام بوش/تشيني العالمي الجديد (نورتون، 2004)**

**جيرمي إيرب: تحدثت في كتابك لعثمة بوش، حول التراجع السياسي المتدهور الذي كان يعاني منه بوش قبل 11 سبتمبر. هل لك أن تستعرض معنا تلك الفترة الزمنية حتى 11 سبتمبر؟**

لم يكن بوش في يوم من الأيام رئيساً محبوباً من الجماهير. ولم يكن يحظى بشعبية عندما كان مرشحاً. ويصعب علينا أحياناً تذكر أنه يفتقد إلى الشرعية الشعبية لأنه خسر الأصوات العامة بفارق نصف مليون صوت(*) وكما كانت حال

(*) تتبع الولايات المتحدة نظام التصويت على مرحلتين في الانتخابات الرئاسية لكي لا تنفرد بعض الولايات ذات النسبة السكانية العالية بتقرير نتيجة الانتخابات على حساب الولايات الصغيرة. لذلك جرى تقسيم الولايات إلى دوائر انتخابية ويجري التصويت في هذه الدوائر لانتخاب هيئة انتخابية (Electoral College) لتقوم بانتخاب الرئيس ونائبه. ولكل ولاية عدد من المقاعد في هذه الهيئة يساوي عدد المقاعد المخصصة لها في الكونغرس. ولا تطبق قاعدة التمثيل النسبي، وإنما تطبق قاعدة التمثيل المطلق أي أن الفائز يحصد كل المقاعد. ولو افترضنا أن ولاية ما لها 20 مقعداً في الهيئة الانتخابية، وحصل فيها ممثلو الحزب الجمهوري على 51٪ من الأصوات فإنهم يحصدون العشرين مقعداً وليس 11 مقعداً. ويحتاج المرشح إلى الفوز بـ 270 صوتاً من مجموع =

obeikandi.com

أبيه من قبل، برغم كل الفوارق السطحية بينهما، فإنه ليس قريباً من الجماهير. وحتى مع تحدثه بلهجة سكان تكساس، وأميته، وروتينه التكساسي الأحمق، فإنه يبقى شخصاً من الطبقة الأرستقراطية.

لقد نجح بوش وفريقه في تنصيب أنفسهم في الحكومة رغم أنف الناخبين، إلا أن أمرهم بدأ يفتضح برغم حرص وسائل الإعلام على عدم إحراجهم وفضح عوراتهم. وباتت سياساتهم الاقتصادية، وسياساتهم البيئية، وموقفهم من الإجهاض، هذه الأمور كلها التي حاولوا إخفاء نواياهم الحقيقية تجاهها أثناء الحملة الانتخابية، باتت الآن واضحة للجميع. ومع أن وسائل الإعلام كانت مشغولة طيلة الستة شهور الأولى من حكم بوش بقضية العفو عن مارك ريتش، إلا أن الناس استيقظوا على ما يحدث. ومع نهاية صيف عام 2001، كان بوش يهوي إلى الحضيض. لم يكن محبوباً لدى الصحافة ليس لسوء وفظاظة تعامله معهم وحسب، بل لعدم ثقة الناس به. فقد كان الاقتصاد الأمريكي يمر في أزمة. وفي محاولة لتحسين صورته، قام مستشاروه بإرساله إلى أوروبا، وجاءت تلك الزيارة بنتائج عكسية. فقد استقبل بوش بالمظاهرات الاحتجاجية في أوروبا كلها، مدينة تلو مدينة. ومثل هذه الأخبار لا يمكن تزيينها ووضع وجه حسن عليها.

وفجأة، وبما يشبه عمل السحر، جاء 11 سبتمبر. ولم يقتصر أثر هذا الحدث على حل مشكلات غاري كوندت(*) لأن اسمه كان يتردد في وسائل الإعلام أكثر من اسم جورج بوش على خلفية التهمة الموجهة ضده بقتل تشاندرا

---

= 538 عدد أعضاء هيئة الناخبين. ومن هنا فإنه يمكن لمرشح ما أن يفوز بغالبية أصوات الهيئة الانتخابية دون أن يحصل على غالبية أصوات جمهور الناخبين. وهو ما حدث مع جورج بوش عام 2000.

(*) غاري كوندت (1948- ) عضو مجلس النواب الأمريكي من الحزب الديمقراطي عن ولاية كاليفورنيا من عام 1989 حتى عام 2003. تضررت حياته بعد اختفاء فتاة تدعى تشاندرا ليفي =

obeikandi.com

ليفي- بل كان بوش هو المستفيد الوحيد من هذه الكارثة المأساوية لأسباب يسهل فهمها. ففي أوقات الشدائد والأزمات يصبح الناس كالأطفال الذين يتوسلون طلباً للحماية. ولقد فهم مؤسسو الدولة الأمريكية هذه النزعة لدى بني البشر. فكانوا يجادلون باستمرار ضد الخضوع والانزلاق وراء هذا الميل الغريزي نحو الأمان والسلامة. لذلك، فنحن أمام مشكلة قديمة، وحل قديم قديم. وكان هذا الحل دواءً سحرياً لمشاكل بوش السياسية. ولم يكن ذاك لأن الشعب كان يتطلع إليه ليكون قائداً للأمة شامخ الهامة ورمز الأب الوطني في تلك اللحظة العصيبة من تاريخ الأمة وحسب، بل لأن الإعلام كان مفتوناً إلى أبعد الحدود بتحوله من شخص معتوه إلى وينستون تشرشل أمريكا.

وفعلاً ظهر بوش شخصاً مختلفاً في حديثه بعد أيام من وقوع الكارثة. ولنتذكر أن أداءه في اليوم الذي وقعت فيه المأساة كان أداءً ضعيفاً، وفي حقيقة الأمر أنه تصرف بطريقة مشينة مهما حاول البيت الأبيض أن يلفق ويحوّر تلك القصة. وحتى كبار أعضاء الحزب الجمهوري اشتكوا من اختبائه عند بروز أول علامات الخطر. ولا أحد يعرف أين ذهب، وكان ذلك أمراً سيئاً بالنسبة له. إلا أنه تجاوز كل ذلك مع حلول اليوم الثالث عشر من سبتمبر. وكانت نقطة التحول عندما أجرى بوش مكالمة هاتفية تم إعدادها إعداداً جيداً مع كل من عمدة نيويورك جولياني، وحاكم الولاية باتاكي. وفيها أفاض العمدة على الرئيس بعضاً من جاذبيته بما كاله من ثناء ومديح على سرعة تجاوب الرئيس وبراعة تعامله مع الأزمة. واختلق جولياني الأكاذيب حول قيام بوش بالاتصال به مباشرة لمتابعة الموقف. كان جولياني رجل الساعة، ولديه من المزايا القيادية ما يفتقر إليها بوش

= والتي كانت تحت التدريب في وظيفة حكومية في مكتبه، ثم وجدت مقتولة فيما بعد. أنكر كوندت وجود أي علاقة رومانسية مع تشاندرا، إلا أنه عاد واعترف أمام المحققين بتلك العلاقة. وتشوهت سمعته في الإعلام وخسر تأييد الحزب الديمقراطي لترشيحه عن دائرته الانتخابية لولاية نيابية ثانية في الكونغرس عام 2002. (إنكارتا 2005).

أشد الافتقار. لذلك، لم يكتف بوش بالحصول على مباركة جولياني عبر هذه المكالمة وحسب، بل توج يومه بأداء ارتجالي غير معهود منه في مكتبه في البيت الأبيض أمام الصحافة، وكانت دموعه تتلألأ في عينيه والأمة تتهيّأ لإعلان الحرب على الإرهاب. وأعتقد أن بإمكانك أن ترى، لو نظرت نظرة موضوعية، أن الرجل كان يتحدث من أعماق قلبه. لقد بدا مقتنعاً بقدسية خطته.

والنقطة المهمة التي نلاحظها من هذا الاستعراض للأحداث، ودون التكهن حول التزامه الديني، هي أن بوش عندما يتحدث الآن فإنه يتحدث بدرجة من الثقة بالنفس بدءاً من 13 سبتمبر وما بعده، حتى في الأوقات التي يتحدث فيها ارتجالاً، وأصبح مقنعاً كقائد تقي عازم على الثأر. ولم يكن هذا بالضرورة تحولاً في شخصيته. إذ لم يوجد فرق بين بوش ما قبل 11 سبتمبر وبوش ما بعد 11 سبتمبر. لأن بوش كان دائماً يتحدث بوضوح وتناسق نوعاً ما إذا كان الحديث يتعلق بالثأر، أو الإعدام، أو الحرب. هذه هي الموضوعات التي تستهويه. لذلك فهو عندما يتحدث عنها يبدو مقنعاً؛ وتكون جمله قصيرة وواضحة. ولا يبدأ بارتكاب أكثر الأخطاء المضحكة إلا عندما يحاول التحدث في الموضوعات المملة أو المؤذية بالنسبة له كالديمقراطية، أو التعليم، أو السلام، أو العطف والحنان. وليس هذا بسبب الحماقة؛ بل لعدم وجود الإخلاص، فها هو الآن يتحدث بطلاقة حول مواضيعه المفضلة أمام جمهور منقاد له بفعل الخوف والإرهاب. لقد كان من المستحيل أن يفوّت هذه الفرصة. ومرة أخرى، أصبح في نظر الجماهير كالإله، وفي نظر الإعلام أكثر من ذلك. واحتاج الشعب إلى أكثر من سنة للإفاقة من تلك السكرة، قبل أن يعاودوا النظر إليه كرئيس عادي.

وحتى لحظة تسجيل هذه المقابلة، فإني لا أعتقد أن وسائل الإعلام أفاقت من سكرتها بعد. وعلينا أن لا ننسى أن وسائل الإعلام كانت تقف موقفاً جباناً ومتخاذلاً تجاه بوش وتشيني منذ البداية. فهم لم يوجهوا أي نقد لحملته

الانتخابية، ثم تجنبوا فيما بعد توجيه أي نقد لإدارته خلال الأشهر التي سبقت 11 سبتمبر. وما أحدثته كارثة 11 سبتمبر هو أنها صيّرت وضعاً سيئاً أصلاً إلى وضع أسوأ. فبعد أن كان هناك بعض النقد الخافت، وبعد أن بدأت تظهر بعض علامات النقد الموجه إلى بوش، أصبحنا لا نسمع شيئاً سوى الإعجاب والافتتان بهذا القائد الفذ. وجرى تمجيد بوش على ذكائه وبراعته في التعامل مع الأزمة، في حين أن الحقيقة، وعلى الرغم من حيله المقنعة، وسلوكه المقنع، هي أن تعامله مع الأزمة كان تعاملاً مشئوما منذ البداية. هذه هي وجهة نظري.

وخرج يوم 11 سبتمبر يقول بأن الإرهابيين هاجمونا لأنهم كانوا يحسبون أننا ليّنون، وهذا في منتهى السخف. فلا يوجد أحد في العالم يظن أننا لينون. لقد هاجمونا لأنهم يعتقدون بأننا سنثأر منهم. واستمر بوش في منح الإسلاميين هدية الرد العنيف. ثم عمدت الحكومة إلى القيام بالشيء الذي كانت تخطط له منذ وقت طويل مدعية أن ما تفعله هو جزء من الحرب على الإرهاب. لذلك، فإن تعامل بوش مع الأزمة كان تعاملاً كارثياً، ولكننا نعيش ضمن ثقافة التلفاز، حيث لا تركز الصحافة اهتمامها إلا على الأداء التلفازي. وفي اللحظ التي كان يتشوف فيها كل شخص إلى "الأب الكبير الحاني" أحسن بوش أداء هذا الدور إلى الحد الذي أثار إعجاب الصحافة برباطة جأشه، وبمكانته وثقته بنفسه. وأصبحت القضية كنوع من النبوءة ذاتية التحقق.

**جيرمي إيرب: هل لك أن تحدثنا عن ظهور بوش في موقع ركام برج التجارة العالمي وتحديداً عندما تحدث من خلال مكبر الصوت؟**

كسب بوش من ظهوره في موقع ركام برج التجارة العالمي كثيراً من النقاط لصالحه، وبالمناسبة، كان يشير إلى ذلك الموقع في حديثه في اليوم التالي بموقع البناء. وفي زيارته للموقع مرة ثانية بعد عدة أيام من وقوع الكارثة، أخذ بيده مكبّر الصوت ووقف إلى جانب بعض عمال الإنقاذ وأخذ يستعرض الشيء

الوحيد الذي يتقنه جيداً وهو الهتاف والتشجيع. فقد كان بوش يتولى قيادة فريق المشجعين في أكاديمية فيليبس آندرو في مرحلة دراسته الثانوية، وكان بارعاً في ذلك. وفي تلك الزيارة قام بتشجيع عمال الإنقاذ المنهكين والغاضبين والخائفين حوله أمام جمهور من سكان نيويورك المحطمين نفسياً، وعاهد الحضور، بطريقة تبعث على الرضا وجبران الخاطر، على أن المسئولين عن هذه الفعلة سيسمعون منا قريباً. وكان يتحدث بلهجة حادة وشديدة- وكانت تلك اللحظة من اللحظات التي أحس فيها الناس ببلاغة غير معهودة فيه، في حين أن مستوى خطابه كان مقبولاً. ولكن تلك الزيارة حققت هدفه في دمج تلك الكارثة في مشهده السياسي.

**جيرمي إيرب: ما تعليقك على اختيار الحزب الجمهوري إقامة مؤتمره العام هنا في نيويورك للإعلان عن مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة، مع ما يصاحبه ذلك من ميثولوجيا بسبب ما حدث في 11 سبتمبر؟**

إن قرار الحزب الجمهوري المجيء إلى نيويورك وإقامة مؤتمره العام هو قرار مسيء للمشاعر العامة، وأعتقد أن هذا الرأي يمثل رأي غالبية الناس هنا. وكل شخص من سكان نيويورك تحدثت إليه حول هذا الموضوع كان في غاية الاستياء من استخدام البيت الأبيض لكارثة 11 سبتمبر كخلفية لمؤتمره العام لاختيار مرشحه للرئاسة، هذا عدا عن أن ذلك سيزيد من احتمالات حدوث هجوم إرهابي آخر في مدينة نيويورك. وكما ترى، فإن فريق بوش كان دائماً يستغل وبكل صفاقة هذه الكارثة لتسجيل أهداف سياسية وبأبشع طريقة. وتقوم الآن اللجنة الانتخابية في الحزب الجمهوري ببيع صور جورج بوش وهو على متن الطائرة الرئاسية يوم 11 سبتمبر وتبدو عليه ملامح الحزم والأنفة، مقابل 150 دولار للصورة الواحدة. إنهم يستخدمون الصور التي التقطت لهذا الرجل يوم الكارثة التي مات فيها من مات كأداة لجمع التبرعات. وهو اليوم الذي فرّ فيه من وجه الأحداث. ولكن ماذا بوسعك أن تفعل حيال ذلك؟

**جيرمي إيرب: ذكرت كلمة "كارثة" عدة مرات. وقد لاحظت أن هذه الكلمة يكثر استخدامها في كتابات كثير من مفكري المحافظين الجدد. كيف تفسر هذا القلق- أو بالأحرى هذا الشغف - بالكوارث التي تلوح في الأفق؟**

من العجيب أن هؤلاء الناس على درجة عالية من الشفافية. فعلى سبيل المثال، بوش نفسه، تجده أحياناً وفي لحظة من لحظات الغفلة يصرح بأشياء في معرض كلامه تعكس أفكاره الحقيقية، كما كان يفعل أبوه من قبل عندما كان رئيساً. ومجرد الاكتفاء بالضحك على زلة لسانه يفوت أهمية ما قاله. ويصدق الشيء نفسه على الأشخاص المحيطين به. إذ يوجد لديهم نزعة مريبة نحو استخدام كلمة "كارثة". فهم يعشقون التفكير بالكوارث. وأنا أقصد هنا المحافظين الجدد. وهذه القضية تشبه الاعتقاد الموجود لدى النصارى المؤمنين بنهاية العالم نهاية مدمرة (بحسب نبوءات سفر الرؤيا)، والإنجيليين المتحمسين لنهاية العالم وعودة المسيح- مثل توم ديلي، وجون آشكروفت. وما أعنيه هو أن هؤلاء الناس يؤمنون حقاً بقرب نهاية العالم، ويفعلون كل ما بوسعهم من أجل تهيئة المكان لعودة المسيح. هذا الإيمان بالنهاية الكارثية للعالم هو عقيدة مشتركة لدى هؤلاء جميعاً. وهي عقيدة مؤسسة في جانب منها على حالة مرضية مزمنة، وإلى حد ما على حسابات سياسية.

وتخويف الناس كان وما يزال من الحيل القديمة المستخدمة ضد الديمقراطية أو الحكم الجمهوري، ويتحقق ذلك باختلاق أزمة أو افتعال حرب ما. وفي تلك اللحظة، مع شديد الأسف، يفقد الناس قدرتهم على التفكير العقلي السليم، ويفقدون قدرتهم على حكم أنفسهم. يصبحون كالأطفال المحتاجين إلى من يرعاهم. وهم على أتم الاستعداد لفعل ما يقوله لهم "بابا" من أجل حمايتهم وسلامتهم. وقد عبر عن هذه الظاهرة جيمس ماديسون في مقالة رائعة كتبها

أثناء الأزمة التي ظهرت حول تشريع قانون الأجانب والفتنة لعام 1799، عندما كان جون آدمز والاتحاديون يحاولون فعل شيء مشابه لما يحاول بوش وتشيني فعله الآن بهذا البلد. في ذلك الوقت كان الخطر قادماً من فرنسا، وفرنسا لم تكن تشكل خطراً مباشراً، ولكنها كانت عدواً. فقال ماديسون، بما معناه، بأن الخطر القادم من الخارج سواء أكان هذا الخطر حقيقياً أم مفترضاً، أم من وحي الخيال، يتم استخدامه دائماً لوضع قيود على الحرية في الداخل. فهم ماديسون هذه القضية تمام الفهم، لأنه درس تاريخ أثينا، ودرس تاريخ روما. وفي الوقت الذي كتب فيه ماديسون هذه المقالة، كان واحداً من بين الذين راقبوا عن كثب ما يجري في فرنسا خلال الثورة الفرنسية، التي تخلت عن كونها جمهورية، وعادت إلى ما يشبه الدكتاتورية العسكرية في عهد نابليون. وعلى غرار جفرسون وتوم بين، فهم ماديسون أبعاد التوتر والتنافر بين النظام العسكري والجمهورية المدنية. فهما شيئان متنافران ومختلفان اختلافاً كلياً. ولا سبيل إلى إمكانية وجودهما معاً. وهذا هو سبب إصرار مؤسسي الدولة على التعديل الثاني للدستور. لم تكن المسألة أنهم أرادوا من كل مواطن أن يحمل في معطفه بندقية. لم تكن تلك هي القضية. كانوا يحرصون على المادة الثانية من التعديل لأنه لم يكن لديهم ثقة بالجيش النظامي. وقد ذكر ماديسون بأن الدولة التي تحتفظ بجيش نظامي لا يمكنها أن تبقى دولة حرة.

وعندما نقرأ اليوم ما كتبه ماديسون نصاب بصدمة الإفاقة والشعور بالامتنان لأنه كان واحداً من الآباء المؤسسين لهذه الجمهورية ولأن كلماته ما زالت نبراساً نستنير به. إنها تجربة تختلف عن تجربة قراءة جزء من رواية يوميات نورمبيرغ للكاتب جي إم غيلبرت حيث ينقل لنا حديثه مع غيرنغ وهما يتحدثان حول الفوارق بين الدكتاتوريات والديمقراطيات، فيقول غيرنغ:"إن من السهل ترويع وإرهاب الناس لإذعانهم". وعندما قال له غيلبرت:"حسناً، ولكن

الحال في الديمقراطية مختلف لأن الناس لديهم مصادر مستقلة للمعلومات ولا يمكنك السيطرة على الرسالة بتلك الطريقة،" فرد غيرنغ قائلاً:"لا يهم ما هو نوع نظام الحكم. ولا أثر لذلك البتة: سواء كان نظام الحكم شيوعياً، أم فاشياً، أم ديمقراطياً، فكل ما هنالك أن تقول للناس بأنهم معرضون لهجوم وسيفعلون كل ما تطلبه منهم."

إن هذه الحكومة لم تدرس كيف تعامل ماديسون مع هذه المشكلة- فقد كان مثالياً في تعاطيه؛ لأنه كان يؤمن بالديمقراطية. وكان يؤمن بالعقل. أما هذه العصبة فهم تلاميذ أسلوب غيرنغ: الانتهازية. كيف يمكننا حمل الناس على فعل ما نريد؟ إن استخدامهم للكارثة يتوازى مع تعاون وسائل الإعلام معهم، وممارساتهم غير القانونية والاحتيالية في الانتخابات، وفي كل ما اقترفوه لطمس إرادة الشعب. إنهم لا يؤمنون بالديمقراطية، ولست مبالغاً عندما أقول ذلك. إنهم يعارضون الديمقراطية ويعملون بكل جهد ضدها. لذلك كانت هجمات 11 سبتمبر أمراً مرحباً به عندهم. ونحن لا نعلم إن كانوا هم الذين خططوا وأعدوا لتلك الهجمات. ربما أن ذلك لم يحدث. وربما أنهم ليسوا على هذه الدرجة من الكفاءة لعمل شيء كهذا. إلا أنه يصعب المجادلة بأنه لم يكن لديهم علم مسبق بالعملية. كما أن من المستحيل المجادلة بأنهم لا يحاولون طمس الحقائق حول ذلك، لأنه لم يصدر عنهم سوى عرقلة عمل لجنة 11 سبتمبر، بعد أن أبدوا معارضة لتشكيلها. إنها عصابة تريد من الناس أن يبقوا في حالة خوف. إنها عصابة لا يمكنها تحقيق أي نجاح سياسي مهما كان في حالة من الطمأنينة وراحة البال.

**جيرمي إيرب: تحدثت لتوّك عن ماديسون، ومن الواضح أن من نصفهم بالمحافظين الجدد- ولفوويتس، وبيرل، والبقية- لديهم نظرتهم الخاصة للتاريخ. فقد برعوا في صياغة حجج هي في نظرهم تقوم على مستند تاريخي. هل لك أن تحدثنا عن نظرتهم للتاريخ؟**

Obeikandi.com

لا شك أن الأشخاص الذين يحيطون بجورج بوش هم على دراية بالتاريخ، وهذا لا يقتصر على بيرل وولفوويتس وحسب، بل وعلى كارل روف الذي يعد قارئاً نهماً للتاريخ. لذلك فهم ليسوا مجموعة جاهلة بحسب أدنى المقاييس. إلا أن قراءتهم للتاريخ، ومعذرة إن كانت ملاحظتي هذه فيها بعض الاستفزاز، هي شبيهة بقراءة هتلر للتاريخ من جانب واحد، وهو أنها قراءة تتم من خلال منظار جنون العظمة. لقد درسوا التاريخ ليس لتعلم دروسه المريرة، وبالتأكيد ليس للاهتداء إلى كيفية إقامة حكومة أكثر عدلاً وأكثر حرية. لا، لقد درسوا التاريخ لكي يهتدوا إلى أفضل السبل لضمان استمرار الإمبراطورية إلى الأبد. فهم لا يكتفون بجعل الولايات المتحدة قوة إمبريالية، بل يسعون إلى تفوقها على كل الإمبراطوريات التي سبقتها لا من حيث العمر، بل من حيث الثبات والدوام، وهو مشروع مجنون، رغم كل ما تعلموه في الجامعة وكل ما قرأوه. فما علاقة هذا المشروع بالدستور؟ وما علاقته بالديمقراطية؟ وما علاقته بالسعي نحو السعادة؟ والجواب لا شيء. إنه من أجل القوة والسلطة. من أجل الهيمنة. إنه للسيطرة على الموارد المتناقصة. لذلك فإن دراستهم للتاريخ متفرعة عن انتهازيتهم. إنهم ليسوا من الذين يقرأون التاريخ بحياد وموضوعية، بل بصفتهم أصحاب مذهب ودعاة إمبراطورية غير معهودة.

**جيرمي إيرب: هل تعتبر هذه الإدارة- في نظرك- استمراراً للحزب الجمهوري الذي كان موجوداً زمن أجدادنا، ولكن بنزعة أكثر عدوانية؟ أم أن هؤلاء الأشخاص، كما اقترح بعض المراقبين، هم راديكاليون حقيقة، أشخاص من غلاة المتطرفين من الحزب الجمهوري؟**

يخطئ بعض الناس حين يعتقدون أن هذه الحكومة حكومة محافظة؛ وأن هذه الحكومة أبعد عن الجمهوريين القدماء بخطوة أو خطوتين. وهذا هو ما يظنه الديمقراطيون: أنهم يتعاملون مع حكومة طبيعية. وهذا ما يظنه اليساريون

أيضاً. فهم يعتقدون أن هذه الحكومة تمثل الرأسمالية في طريقة عملها. وربما أن هناك بعض الحقيقة في ذلك. ومن الواضح أن الرغبة في الربح وتحقيق المكاسب المادية تعلب دوراً كبيراً في هذه الحرب وفي الحرب على الإرهاب، إلا أنها ليست الرأسمالية بعينها المستفيدة من هذه الأجندة. إنها فقط لخدمة أنفسهم. إنها الرأسمالية الشللية. إنها ذلك النوع من الرأسمالية التي تحيّد المستثمرين والنخب في الدول الأخرى وبعض النخب في هذا البلد.

والحقيقة هي أن هذه الحكومة ليست محافظة على الإطلاق. إنها لا تمثل الحزب الجمهوري الذي كان في عهد أجدادنا، وهو حزب يؤمن بالحكومة الفدرالية المحدودة، وبالمحافظة على حقوق الولايات، وبالمسؤولية الفردية، ويرفض التدخل في شؤون الدول الأخرى. هذه أبرز المزايا التي يمكن أن نصف بها الحزب الجمهوري. على الأقل هذا هو فهمي للنهج المحافظ. وكان هذا الحزب في قديم الزمان يستوجب قدراً معيّناً من الذوق والمناقشة العامة. وكان الجمهوريون يفتخرون بالحشمة واستقامة السلوك و الخ، وكانت الممارسات الغوغائية وسوء الأدب من عمل الغوغاء ورعاع الناس. أما اليوم فنحن أمام وضع مختلف تماماً. مختلف كل الاختلاف.

لقد عملت هذه الحكومة على توسيع صلاحيات الأجهزة الأمنية والحكومة الفدرالية إلى حد غير مسبوق في تاريخ البلاد. ويوجد إلى جانب هذه الحكومة حكومة ظل قائمة بسبب الإرهاب. ويملك نائب الرئيس في هذه الحكومة، وهو من الناحية الفعلية يتصرف وكأنه رئيس وزراء النظام(*)، ووضع تحت يده أكبر طاقم موظفين في التاريخ الأمريكي. لقد قامت هذه الحكومة، بإلغاء أقسام جوهرية في وثيقة الحقوق. وعطلوا من خلال قانون الوطني كافة الضمانات

(*) يعد منصب نائب الرئيس الأمريكي من الناحية التاريخية ومن حيث الصلاحيات الدستورية المحدودة منصباً تشريفياً يقتصر على المراسيم ولا يتمتع بأي سلطات فعلية.

الدستورية في المحاكمة العادلة وعدم اعتقال الأشخاص بدون محاكمة. وجعلوا من الاعتقال المؤبد من دون محاكمة أمراً ممكناً. وتجاهلوا اتفاقيات جنيف بالكامل. وهم يتصرفون بكل حصانة أينما ذهبوا. ولا أجد شيئاً واحداً محافظاً فيما يقومون به. لا شيء. وبدلاً من الامتناع عن التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى، فقد جعلوا الحروب المستمرة غايتهم وسبب وجودهم. فهذا هو هدفهم: مهاجمة هذا البلد أو ذاك. والقضية أبعد من الشرق الأوسط. وأبعد من التأثيرات الصهيونية، التي تعمل عملها في هذا المجال، لأنهم يركزون أنظارهم الآن على الصين. إنهم أشخاص يريدون الحرب إلى الأبد. وهذا يجعلهم حركة فاشية أكثر منها حركة محافظة. ليس للمسؤولية الفردية أي معنى لدى هؤلاء الناس، بسبب وجود هذه النزعة المتطرفة في التغاضي عن الآثار التي تتركها تصرفاتهم على الناس الآخرين. فهم الأخيار، وبقية الناس هم الأشرار. إنهم أشخاص مضطربون عقلياً واجتماعياً. هذه هي نظرتهم للعالم. وسرعان ما ينقمون على أي شخص يعترض أو يقاوم ضراوتهم ولصوصيتهم. ولا تنتمي هذه الأمور لا إلى نهج ديمقراطي ولا إلى نهج جمهوري. بل إنها لا تنتمي إلى العملية السياسية كما نعرفها.

إن هذه العصبة من الناس ليست من النوع الذي يمكن أن يتسامح تجاه الخلاف في الرأي بل ولا يمكنها تصوره. ويرون في فيه هجوماً شخصياً عليهم. فإذا اختلفت معهم حول نقطة ما، فأنت عدوهم. إن عقلية نحن ضدهم، هذا التفكير المانوي، والنزعة نحو وضع المعارضة في صف الشيطان- شاهدناه من قبل. رأيناه في النازيين. ورأيناه في الستالينيين. ونشاهده في القاعدة. إنه نظرة متعصبة ومغالية إلى الحياة السياسية. وثمة نزعة موروثة من التعصب المسيحي في هذه الحالة تحديداً، ولكن في النهاية لا يهم نوعية الثوب الديني الذي ترتديه. إننا نتحدث عن شيء يختلف عن المسيحية التي جاء بها

عيسى، وأبعد ما يكون عن الديمقراطية التي ناضلنا من أجل تحقيقها طيلة أكثر من 200 عام.

**جيرمي إيرب: كما أشرت في كتابك، خاض بوش حملته الانتخابية للرئاسة عام 2000 على برنامج مناهض لكلينتون. وكان يردد في خطاباته عبارات مثل وجوب استعادة "شرف وكرامة البيت الأبيض. ولو قال لك أحد الآن "إنني أحد مؤيدي بوش، وعلى الرغم من كل مشاكله، فإنه على الأقل استعاد شرف وهيبة البيت الأبيض. وأوفى بوعده ذاك، ما ردك على هذا القول؟**

لو جاءني شخص وقال لي "على الأقل أعاد بوش الشرف والهيبة إلى البيت الأبيض، وعليك أن تعترف له بذلك." أولاً وقبل كل شيء، ربما سأحتاج إلى دقيقتين لكي أفيق من صدمتي. ولكن ذلك ليس بالأمر غير المعتاد بالنسبة لي، فأنا أتعرض لمثل هذه الأمور باستمرار. سأحول أن أوضح لهذا الشخص بأن ما قاله صحيح فقط إذا حصرنا الشرف والهيبة بعدم التحرش الجنسي في البيت الأبيض. إن هؤلاء اللصوص الموجودين في البيت الأبيض اليوم ليس لديهم أي شرف، وليس لديهم أي كرامة. لقد كذبوا باستمرار وبفظاعة، وسخّروا مناصبهم لتأمين صفقات مجزية لمصالحهم الشخصية ومصالح المقربين منهم إلى الحد الذي يجعل من "قضية قبة إبريق الشاي" تبدو لا شيء. هليبرتن، بتشل، وغيرها. لقد قاموا بقلب الحقائق عما يفعلوه على الطريقة الأورويلينية(*)، وحاولوا ونجحوا إلى حد بعيد، في طعن أعدائهم وأحياناً أصدقائهم من الخلف. لقد جعلوا من الولايات المتحدة دولة مكروهة حول العالم. وقدموا وقوداً لا ينضب لنار الحركات المتشددة التي تبغض الولايات المتحدة. لقد داسوا على الحقوق

(*) نسبة إلى الكاتب الإنجليزي المشهور جورج أورويل مؤلف رواية 1984، وهي رواية خيالية ساخرة تدور حول الممارسات الاستبدادية في ظل نظام حكم دكتاتوري.

الدستورية للمواطنين والأجانب في هذا البلد إلى حد لم يكن متصوراً من قبل. فأين الشرف والكرامة والهيبة في هذا كله؟

إلا أن من المهم ملاحظة أنهم نجحوا في وضع أنفسهم في قالب الشرف والهيبة. ويعود السبب في معظمه إلى التدين لدى مؤيدي بوش. ومن الحقائق الثابتة أن الغالبية العظمى من الأشخاص شديدي التدين لا يميزون بين الأخلاق العامة والأخلاق الخاصة. لذلك فعندما تسمع الناس يقولون بأن ريتشارد نيكسون كان أفضل من بل كلينتون، فإنهم يحصرون معيار حكمهم في المخالفات الجنسية، لأن نيكسون لم يكن يتعرض للنساء، بينما شاع عن كلينتون شبقه الجنسي وكثرة تحرشه بالنساء. وهذا مبالغ فيه. إلا أن ما أظهره كلينتون من نزواته الجنسية كان كافياً لجعل هؤلاء الناس يقولون بأنه كان أسوأ من نيكسون على الرغم من ارتكاب هذا الأخير جرائم أضرت بالصالح العام وكانت أخطر بكثير من أي شيء قام به كلينتون في حياته. فالجرم الذي قام به كلينتون لم يكن جرماً عاماً يطال المجتمع. إلا أننا أمام عقلية لا تفهم معنى الأخلاق العامة. ليس لها معنى بالنسبة لهم. وهم يشخصنون كل شيء ويتحدثون بلغة الخطيئة. ولذلك فإن الجهود الرامية إلى تعطيل الدستور، وهو ما فعله نيكسون، وما فعله الذين تورطوا في فضيحة إيران – كونترا، وهو ما تفعله إدارة بوش الحالية من مبادرات هدامة لتقويض الحكم الديمقراطي وحرمان الناس من حقوقهم- ولا أكاد أن أتصور شيئاً أسوأ وأخطر من ذلك على الديمقراطية- فإن هذا كله لا يعتبر في نظرهم مخلاً بالكرامة أو بالشرف. وما داموا مقتنعين بأن سحاب سروالك محكم طول الوقت فإنك في نظرهم إنسان ورع ومستقيم تماماً. واسمح لي أن أضيف بأننا لا نعلم ما هو نوع الماضي الجنسي لجورج بوش. ويمكن لأي شخص عاقل أن يستنتج من سجل بوش الشخصي أن ماضيه الجنسي كان أسوأ وأفظع بكثير من سجل كلينتون. وما أعنيه هو أن بوش لم يكن شخصاً جاداً ولا مركزاً

في حياته. كان دائماً يستمتع بالملذات ولديه هذه النزعة الإباحية الموجودة لدى معظم أبناء الأثرياء. إلا أن ذلك لا يهم. فالحقيقة الرسمية، والحقيقة المسموح لنا بقبولها هي أنه وزوجته لورا يتمتعان بزواج سعيد، وأنه لم يسبق له أن ضل أو غوى. ولم يعد مدمناً على الكحول، على الرغم من عدم وجود أي دليل على ذلك كله.

**جيرمي إيرب: هل قرأت المقالة التي نشرتها صحيفة نيويوركر حول كارل رووف؟ وتحدثت عن أول لقاء بين روف وبوش، وكيف أن روف أعجب بجاذبية وشخصية بوش بعد أن رأى علبة التبغ في حقيبة بوش. هل لك أن تحدثنا عن الفروق التي تشاهدها بين ما ذكرت عن بوش كأحد أبناء طبقة النخبة الأرستقراطية الثرية، والصورة المحددة التي صنعها له روف وبقية مستشاريه؟**

برع فريق بوش الإعلامي في صنع صورة محددة له في أذهان الناس، صورة تستند في معظمها على جوانب ضعفه. فعلى سبيل المثال، بوش لا يجيد التحدث بكلام متناسق ومفهوم في المواضيع التي تخالف قناعاته مثل الحديث حول السلام، دون أن يستعين بنص مكتوب أمامه. وقد يفهم من ذلك فوراً بأنه علامة على الأمية والجهالة. وفي ذلك بعض الحقيقة. فهذا الشخص هو أقل الرؤساء فضولاً في التاريخ الأمريكي. ليس لديه أي فضول فكري، ولا يستطيع مراعاة قواعد اللغة إذا حاول التكلم في المواضيع التي تخرج عن دائرة اهتمامه. ومع ذلك فهذا ليس دليلا على الحماقة أو البساطة؛ لأن إدارته سعيدة كل السعادة حين يهزأ الناس من أخطائه في قواعد اللغة لأنهم سيقولون، وقد فعلوا ذلك، بأن تحدثه بهذه الطريقة ما هو إلا دليلاً على أنه شخص عادي من عموم الناس، وليس متعجرفاً من أبناء النخبة الأرستقراطية مثل آل غور -الذي يلقبونه بالأمير ألبيرت- الذي نشأ في فندق. وهذه الصورة تتناقض كلياً مع خلفية بوش. وكأنهم

يقولون بأن بوش لم يولد في ولاية كناكيتكت، ولم يدرس في أكاديمية فيليبس آندروفر، ولم يحظ بمنحة دراسية في جامعة ييل وهي واحدة من أرقى الجامعات الأمريكية، وهو ليس شخصاً يتصل نسبه بملكة بريطانيا، وإنه ليس شخصاً ينحدر من أسرة ذات ثراء فاحش، وكان جده من ممولي النازية. ليس هذا هو جورج بوش، إنه شخص أمريكي من عموم الناس. وعندما يخطئ في اللغة فذلك دليل على أنه شخص عادي مثلي ومثلك. إن هذا التلفيق هو في غاية الدهاء؛ أن تجعل من بوش شخصاً من عامة الناس، وقائداً طبيعياً جاء من البرية على غرار هنري جاكسون. إلا أن الحقيقة هي أن بوش كان دائماً شخصية أرستقراطية. والحقيقة أنه يمثل كل ما ينتقده في حقبة الستينيات. فهو يتحدث دائما عن تلك الفترة بأنها كانت حول الاستمتاع بالحياة والملذات، وأن حقبة الستينيات كانت فترة فظيعة- لأنها كانت تمثل شعار إذا خطر في بالك شيء وشعرت بالارتياح نحوه فافعله. إلا أن ذاك الوصف ينطبق على بوش نفسه. إنها تعكس بوش في أوضح صورة. أعني أننا قد نكون أمام فيلم "منزل الحيوانات" بدلاً من مهرجان "وودستوك"، ومع ذلك فإن بوش يبقى بوش.

ولا شك أن تحويل نقاط الضعف هذه إلى نقاط قوة يتطلب مهارة عالية من كارل روف وبقية أعضاء فريقه. وقد استنفدوا في ذلك كل الحيل. وحولوا سجله في الإدمان على الكحول والمخدرات إلى قصة حول التوبة وتخليص الذات من الخطايا، وذلك على الرغم من وجود دليل في سجلات الشرطة يشير إلى أنه لم يتوقف عن الشرب عام 1986. ويوجد شريط فيديو يعود لعام 1992 ويمكن مشاهدته على موقع (thesmokingun.com) ويظهر فيه بوش وهو سكران ومضحك بأسلوب عفوي يفصح عن طبيعة الولد المدلل. إلا أن الحقيقة هي أنه لم يظهر في هذا الشريط وهو يشرب الليمونادة، ولم يكن متزناً بل كان سكراناً. ومع ذلك فإن هذه الصورة التي أخرجت للناس عبر وسائل الإعلام تبدو وكأنها

منقوشة على الصخر. وهذا ليس بسبب مهارة فريقه الإعلامي بقدر ما هي بسبب تواطؤ وجبن وسائل الإعلام. فهم لم يكتفوا بتصوير كلينتون بأنه أسوأ شخصية مناهضة للثقافة السائدة، الشخص الكذاب الذي تملص من الخدمة العسكرية. في حين أن الحقيقة هي أن كل تهمة وجهت إلى كلينتون نجد أن بوش مذنب بها. بوش تهرب من الخدمة العسكرية، وليس مجرد تهرب بل فرّ من الخدمة العسكرية في وقت الحرب. لأن من تغيب عن وظيفته لأكثر من ثلاثين يوماً بدون عذر يعتبر في نظر القانون بحكم الفار من الخدمة. ولو فعل كلينتون ذلك لصلبوه أمام البيت الأبيض. وما فعله كلينتون هو أنه التحق ببرنامج التدريب العسكري لطلبة الجامعات تجنباً للخدمة العسكرية الإجبارية، وهذا ليس فراراً من الخدمة، بعكس بوش الذي تغيب عن الخدمة بدون عذر أثناء الحرب. وهم يطلقون على كلينتون وصف المحتال. لقد كان سجل كلينتون نظيفاً عندما كان حاكماً لولاية آركانسا، وهذا ما أثبتته لجنة ستار التي كلفت بالتحقيق في تعاملاته المالية. ولست هنا بمقام المدافع عن كلينتون لأن لي تحفظات على سياساته ولست من مؤيديه. ولكن المهم هنا أنهم نجحوا في تشويه سمعته وقوضوا برامجه وأعاقوا تنفيذها باستخدام التضليل والتلفيق الإعلامي وترويج الأكاذيب حول حياته الشخصية وحياة زوجته. وأبرز ما يتكشف لنا من هذا كله، وهو ما لا يخطر في بالهم، هو أن كل تهمة وجهوها إلى كلينتون هي في الواقع تعود عليهم. وهذا بكل تأكيد أحد الخصائص المحددة من التضليل الإعلامي الخبيث في كل نظام.

ولو عاينت، على سبيل المثال، صورة اليهودي في العقلية النازية، لوجدتها تعكس كل ما يكرهه الألمان النازيين في أنفسهم، ولو عاينت الواقع الشخصي للأفراد الذين هاجموا كلينتون على ضعف قيمه الأسرية، فسترى متلازمة وليام بينيت تتكرر أمامك مرة تلو أخرى. فبينيت هذا كان يذهب إلى لاس فيغاس

لإنفـاق الملايين فـيـمـا لا يعلمـه إلا الله، في الوقت الذي كـان يدعـو فـيـه إلى الفضيلة؛ ولدينا أيضاً رش ليمبو الذي يتحدث بنبرة استعلائية ازدرائية حول الحوش من الناس الذين يتعاطون المخدرات، لنكتشف فيما بعد أنه هو شخصياً من المدمنين على المخدرات. وتتكرر هذه الظاهرة مرة بعد مرة.

وقد يبدو أن كلامي هذا هو هجوم شخصي على هؤلاء الأفراد، ولكنه ليس كذلك. فهناك ميول لدى الحركات السياسية والدينية المتطرفة، إن لم نقل كل الحركات المتطرفة، أن تمارس هذا النوع من الإسقاط التلقائي الخبيث. وتمارسه القاعدة في نقدها للغرب المنحل، ومارسه الستالينيون ضد الغرب، ويمارسه النصارى المتعصبون ضد العصاة، وغيرهم. ودائماً يكون "الآخر" كتلة متحركة تضم كل الصفات والمثالب التي يكرهونها في أنفسهم. ويمكنك أن تسميها مرض روي كوهين(*)، أو مرض جو إدغر هوفر(*). إلا أن ذلك هو أحد أبرز ما في هذه المجموعة. وهو من ابرز الأشياء التي تجعلها حركة غير أمريكية، وحركة مريضة في غالبيتها.

**جيرمي إيرب: لنتحول الآن إلى العراق. هل لك أن تحدثنا عن التغطية الإعلامية التي سبقت الحرب، وبالتحديد عن الأسلوب الذي تم فيه إحلال صدام حسين محل أسامة بن لادن في التغطية الإعلامية للحرب على الإرهاب؟**

---

(*) كبير مستشاري اللجنة الدائمة الفرعية للتحقيق في النشاطات الشيوعية برئاسة السيناتور جوزيف مكارثي، تورط في فضيحة على مساعيه لإعفاء أحد أعوانه وأصدقائه واسمه ديفيد شاين من الخدمة العسكرية في حرب فيتنام. (إنكارتا).

(*) جون إدغر هووفر (1895–1972) المدير السابق لمكتب التحقيقات الفدرالي. بدأ عمله في المكتب عام 1917 كمراقب ملفات؛ وبعد عامين عين مساعداً خاصاً للمدعي العام الفدرالي. وعين عام 1924 مديراً لمكتب التحقيقات الفدرالي. توسعت نشاطات وصلاحيات المكتب في عهده واشتهر بتعقب البلشفيين والعصابات الإجرامية ومختلف التنظيمات إلا أنه لم يكن يتعرض لعصابات المافيا. كان يجمع المعلومات حول السياسيين ويستخدمها في ابتزازهم والضغط عليهم بمن فيهم =

لقد عودنا البيت الأبيض في عهد بوش على إصدار الوعود وعدم الوفاء بها. فقد عاهدونا على البحث عن أسامة بن لادن وتقديمه إلى العدالة، ولم يفعلوا ذلك. ومن الواضح أنهم حولوا اهتمامهم إلى صدام حسين، واختلقوا المقولة المناقضة للعقل بأن من المرجح أن صدم حسين زود الإسلاميين بأسلحة دمار شامل. وبالطبع لو حصل الإسلاميون على هذه الأسلحة لاستخدموها ضده أولاً. إلا أن تلك الحقيقة غابت عن أذهان هؤلاء. لذلك فإن وجود 76٪ من الشعب الأمريكي يعتقدون بوجود علاقة بين صدام حسين وهجمات 11 سبتمبر له صلة بهذا الموضوع. كما قيل لنا بأن الإرهابي الذي أرسل الرسائل المحتوية على جرثومة الجمرة الخبيثة سيتم القبض عليه، ولم يحدث هذا مطلقاً. وعندما سرب شخص من الحكومة اسم فاليري بليم التي كانت تعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية، قالوا بأنهم لن يعثروا على ذلك الشخص لأنهم يعرفونه ولا يرغبون بالتخلي عنه.

وما كان لأي شيء من هذا ليحدث، وأنا أعني لا شيء منه- سواء كنا نتحدث عن الحرب في العراق، أو تعطيل الحقوق المدنية، أو إحلال صدام حسين محل أسامة بن لادن- لو أن وسائل الإعلام أدركت التزامها الدستوري في إطلاع الشعب على ما يحدث لكي يتمكن من قول كلمته. وهذا هو سبب وضع التعديل الأول من الدستور. ولو قرأت ما كتبه المؤسسون الأوائل حول هذه المادة لوجده في غاية الوضوح. فوظيفة الإعلام في رأيهم هي لمساعدة الشعب على مراقبة حكومته؛ وإطلاع الشعب على حقائق الأمور لضمان الحد الكافي من الديمقراطية الجمهورية. لم يضعوا هذه المادة لأنهم كانوا يتوقعون أن يأتي يوم يعرض فيه فيديو لموسيقى الراب وتظهر فيه مناظر عارية فأردوا أن يضمنوا له

= الرؤساء الأمريكيين. بقي في منصبة 48 عاماً.(الموسوعة البريطانية) وينعى عليه النقاد تعسفه في استعمال سلطته وتجاوز حدود صلاحياته. وكان ماسونياً معروفاً. ومن الشواذ جنسياً على حد وصف الرئيس الأمريكي السابق نيكسون.

الحماية. لم يكونوا مهتمين بذلك. لم يخطر في بالهم حيل وتكتيكات الصدمة السيكولوجية. إنهم لم يقدموا الحماية والحصانة للصحافة لأنهم علموا أن روبرت مرداخ سيحتاج إلى جمع الملايين. لم يكن لهذه الأمور علاقة بالتعديل الأول من الدستور. بل كانت تهدف حصراً إلى إتاحة المجال أمام الشعب للإطلاع على كامل المعلومات الممكنة حول ما تفعله الحكومة، وإلا فإن الدولة لن تكون حرة. ولهذا يمكن تفهم أن غالبية الناس في هذا البلد تعتقد بأن العراق كان وراء هجمات 11 سبتمبر لأنه لا أحد سمع شيئاً يناقض ما قاله بوش. لم يفعل ذلك أحد. فقد كان صحافيو التلفاز، وصحيفة نيويورك تايمز، وصحيفة واشنطن بوست، وصحيفة يو أس إيه تودي، كانوا في غاية اللباقة في عدم إظهار الحقيقة عندما أطلق بوش هذه الأكاذيب الكبيرة.

وبهذه الطريقة، ولأن إعلامنا اتخذ موقفاً سلبياً وتخلى عن مسؤولياته الدستورية، فقد أصبحنا لا نختلف بشيء عن أي مجتمع مغلق حيث يصدق الناس الأمور المناقضة للواقع والعقل. إننا لم نعد نختلف عن صربيا ميلوسوفيتش، حيث كان الناس في تلك الدولة يعتقدون أنهم تحت هجوم مستمر من كرواتيا والبوسنة. وأعني أنك إذا كنت تسمع رواية واحدة ولا يوجد ما يناقض تلك الرواية، ولست مفكراً ولا ناقداً إعلامياً، فلماذا يتوقع منك أن تتصور أن الحقيقة هي شيء آخر؟ فهذا ليس خطأ الشعب.

**جيرمي إيرب: هل تتوقع أي يتغير ذلك في الدورة الانتخابية لعام 2004؟ وما هي توقعاتك حول ما ستكون عليه إستراتيجية كارل روف الإعلامية مع اقتراب موعد الانتخابات؟**

إذا أرادت هذه المجموعة أن يعاد انتخابها، فإنها ستحتاج إلى كارثة ثانية لتحقيق ذلك. وقد لا تكون هذه الكارثة عملاً سرياً على شكل تفجيرات مدمرة كما حدث في برج التجارة العالمي والبنتاغون. بل ربما تكون كارثة مدنية خفيه

كالتلاعب بالحواسيب المستخدمة في عملية التصويت وإحصاء الأصوات لوضع بوش في البيت الأبيض. إلا أننا نشهد تصاعداً في الغضب الشعبي من موت الجنود في العراق، وهناك تزايد في غضب الجنود أنفسهم بسبب تمديد فترة خدمتهم في أرض المواجهة وتعرضهم للمخاطر هناك. كما أن الاقتصاد في حالة من الفوضى خصوصاً في بعض القضايا كالبيئة حيث تقف غالبية الناس موقفاً تقدمياً. وأصبحت غالبية الناس اليوم تدرك ما تفعله هذه الإدارة على الرغم من تغاضي الصحافة عن كثير من أخطائهم وتساهلها تجاههم. وإذا رغب بوش وجماعته في إعادة انتخابهم فإنهم سيحتاجون إلى توظيف خدعة ما لأنني لا أعتقد أن أقل الديمقراطيين كفاءة يمكن أن يخسر هذا الرهان. وقد ادعى بعض المعلقين بأن آل غور كان أقل الديمقراطيين كفاءة للترشيح للرئاسة، ومع ذلك لم يخسر الانتخابات وحصل على غالبية أصوات الشعب. واعتقادي هو أن جورج بوش كان سيستولي على البيت الأبيض حتى وإن لم يوجد رالف نادر لأن هذه المجموعة ليس لديها أية نية في التخلي عن السلطة بعد أن ذاقت طعمها. وقد بدأت الصحافة فجأة تبدي بعض الشجاعة في طرح المسائل المتعلقة بالبيت الأبيض. إلا أنهم وضعوا لأنفسهم أدنى المعايير المهنية. فقد فشلوا في نظري في التركيز على قضية الكشف عن هوية فاليري بليم التي كانت تعمل مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية. وهذا الكشف يشكل جريمة صارخة من دون شك. إنها جريمة خطيرة تهدد الأمن القومي. لقد كانت فاليري مكلفة بمهمة مراقبة أسلحة الدمار الشامل سراً، وقام هؤلاء الأشخاص بالكشف عن هويتها وتقويض تلك المهمة. ومع ذلك لا تقوم وسائل الإعلام بالتحدث عن هذه الفضيحة كل يوم. هل هذا هو ما وصلنا إليه؟ ولو كان الإعلام مسئولا، لما اكتفى بأن تكون هذه الفضيحة مجرد حدث إعلامي يتصدر الأخبار ليوم واحد ثم يتوارى بعدها عن الأنظار والأسماع، بل لعمل على تكرار هذه القصة يوماً بعد يوم إلى أن يتم اتخاذ الإجراء اللازم بشأنها. لقد فعلوا ذلك مع فضيحة مونيكا

لوينسكي، وهي قضية ليست على قدر من الأهمية بحال، ولكنهم لم يفعلوا ذلك مع جريمة واضحة كل الوضوح كهذه الجريمة.

والآن، من الممكن، بل وحتى من الراجح، أنه ومع استمرار تدهور شعبية بوش لدى عموم الناس بشكل عام، أن تصبح وسائل الإعلام أكثر تحركاً. ومن المؤكد أن تصبح أكثر تهكماً وأقل احتراماً لشخص الرئيس، فهذا هو مبدأ عملهم. ولكن هل كانوا سيفعلون شيئاً أكثر من مجرد السخرية من أخطاء بوش اللغوية، وهل كانوا سيقولون:"إن هذه جريمة، وهذا غير دستوري" فلا أملك القدرة على التكهن بذلك، لأن ما حدث في السنتين الماضيتين كان إجهاضاً فاضحاً للعدالة وخرقاً فظيعاً للإجراءات الديمقراطية. وكانت وسائل الإعلام شريكة في ذلك. وربما أن الأمر سيتطلب في النهاية شيئاً طوبائياً كإصلاح شامل للإعلام وجهوداً مشابهة لما نقوم به كي نبقي التركيز على هذه القضايا إلى أن تنال التغطية الإعلامية المناسبة.

**جيرمي إيرب: بمناسبة الحديث عن السخرية، ما رأيك بالصورة التي يظهر فيها بوش بعد أن حطت طائرته على متن حاملة الطائرات؟ وهذه الصورة هي على طرف النقيض مما فعله أتواتر وبوش الأب بمايكل دوكاكس عندما ظهر على متن دبابة. هل لك أن تحدثنا عن تطور هذه الصورة، وكيف تم التقاطها، وما موقف وسائل الإعلام منها، وكيف ينظر الناس إلى هذه الصورة الآن؟**

للتوجيه الإعلامي حدود ضيقة لأن التاريخ سيعمل دائماً على تعديل المعاني. والآن، وفي غمرة عجرفتهم، قام البيت الأبيض بالإعداد لهذا الحدث الكبير على متن حاملة الطائرات التي تحمل اسم أبراهام لينكن ويظهر فيها بوش وكأنه توم كروز(*) وخلفه لافتة كبيرة تقول "لقد أنجزت المهمة،" في حين أن الحرب كانت

(*) ممثل أمريكي مشهور لعب دور طيار حربي في فيلم توب غن.

في بدايتها. وقد كان رد فعل الصحافة على هذا الحدث مدهشاً، فقد كانوا في غاية الذهول والإعجاب بالمظهر الرجولي لبوش، بل ذهبوا إلى حد الإشادة بهتافات الجنود على متن السفينة، الجنود الذين تعرضت مكاسبهم للتخفيض على يد هذه الإدارة. لم يكن هناك أي شعور بالمسؤولية الديمقراطية لدى الصحافة. لذلك فإنهم لم يفعلوا شيئاً له صلة بفضح تلك الصورة، بل تم ذلك بمرور الزمن، وبالخسائر البشرية في مستنقع العراق. واليوم لم يعد لتلك الصورة أي استخدام مفيد إلا في يد خصوم بوش. وأعتقد أن في ذلك درساً يمكن أن يقدم لنا بعض الأمل، وهو أنّ هذا التمادي الهائل الذي يمارسه هؤلاء الأشخاص ومحاولاتهم تزوير الحقائق لتغطية أخطائهم وفضائحهم لن يكتب له النجاح، ولأن الحقيقة والتاريخ هما أكبر من جهود أي عصابة، وحتى في ظل غياب أي معارضة سياسية.

**مدينة نيويورك**

**6 نوفمبر، 2003**

✽ ✽

Obeikandi.com